وهذا الاله لم يصنعوا له رسماً ولم يكن له اسم عندهم او بالحري لم يكونوا يدعونه باسم اذ كان له اسمٌ عندهم . وكانوا يعتقدون ان كل ما سواهُ من الآلهة ليس الّا صفة له او قسماً من الطبيعة التي خلقها. فالاله نفس ورمز للعقل الخالق وافتاح لليد الخالقة وموت للمادّة ورمز للشمس وخوس للقمر وسب للارض وشوس للحكمة الالهية وابوبيرس للجودة الالهية . وكل ما في دياناتهم من الاوهام والتقليد متصور على اختصاص آلهتهم بهذه الصفة دون تلك او بهذا الشيء دون ذاك. وكانوا يعرفون حق المعرفة ان العبادة التي يقدمونها لهذه الآلهة تقدم لله لانها قدّمت الى صفاته او ملابساته . ولما لم يكن يحل لهم ان يتلفظوا باسم الله كانوا يقدمون صلواتهم وتراتيلهم وتسابيحهم باسم تلك الآلهة فتبلغ اليه ولذلك جوّزوا ان يسمي الاله الواحد من هذه الآلهة باسم الاله الآخر منها لان مرجعها جميعها الى الاله الاوّل (يتبع)

فساد فلسفة الماديين (١)

ايها السادة الكرام

اني عالمٌ بان غرضنا من الاجتماع في هذا المكان غير انتقاد الآراء الفلسفية وتمحيص الاقوال العلمية ولا قصد لي في تغيير ذلك الغرض ولا رغبة في فتح باب جديد من ابواب البحث اذ غرض اجتماعنا مطابق لمقتضى الحال . ولكني لما رأيت ان فلسفة الماديين قد امتدّت اعراقها حتى بلغت هذه الاطراف فصار البعض لا يعلّلون الحوادث الّا بها ولا يبصرون الحقائق الّا بنورها قلت ان الصمت عن كشف حالها تيهٌ واطلاق العنان للقائلين بها اهمال للواجب وخذل للحق فجئتُ بهذه المقالة راجيًا ان تكون مفيدة لمن يهمُّه مضمونها والله خير مرتجى

اريد بفلسفة الماديين قول طائفة من العلماء بان افعال النفس هي افعال المادّة وبعبارة اخرى ان الحس والفكر والارادة هي افعال الدماغ والنفس والدماغ اسمان ليس لهما الّا مسمًّى واحد وهو الجسم العصبي العظيم الشاغل للجمجمة واما الجوهر المجرّد فغير موجود . واصحاب هذه الفلسفة كثيرون وفيهم جملة من كبار العلماء الذين يعتمد على قولهم في العلم ويركن الى معرفتهم في كثير من الحقائق . على ان ذلك لا يقتضي ان نوافقهم على كل ما يقولون او نذهب الى كل ما يذهبون اليه فربَّ عالم يجري في مقدمة العلماء من وجهٍ وفي مؤخرتهم من آخر كما ان صانعًا يجوز قصب السبق في حرفةٍ وينشل في غيرها تمام الشلل . ولذلك فالعاقل يزن الاقوال قبل الحكم

(١) خطبة خطبها احدنا فارس نمر في جمعية شمس البر في شباط ١٨٨٣

عليها ويبحث عن صحيحها وفاسدها قبل التسليم بها. ولو وعى ذلك بعض المدّعين المعرفة المطنطنين بالاقوال الفارغة من شبان يبرون لعقد الحياة الستهم واسلك الحقّ اقلامهم عمّا يهرّفون به على بساط الفرّاء . وعندي ان فلسفة الماديين فاسدة منقوضة الاركان وان كانت تتضمّن كثيرًا من حقائق العلم وتصلح لتعليل كثير من حوادث الطبيعة. وحكمي بفسادها ونقض اركانها مبنيّ على براهين علمية كالبراهين التي يدّعي اصحابها اثباتها بها . وانا ابسطها امامكم آملاً ألّا تقتصروا على ما اقتصرت عليه لضيق المقام بل تريدوا البحث وتزنوا الادلّة ليتضح لكم صدق حكمي ان كنت قد اصبت او بطلانه ان كنت قد اخطأتُ . ولمّا كان المنصفون يقرّون لخصومهم بما عندهم من الادلّة الصادقة ويسلّمون معهم بما يجيئون به من الحقائق فنحن نسلّم للماديين بما عندهم من الحق الراهن وانما ننكر الباطل فانظروا اولاً في دعاويهم ثم تحكم عليها

قد ثبت بالبحث والتجربة ان بين الدماغ والعقل علاقة شديدة اعني انه كلما ازداد دماغ الحيوان حجمًا وازدادت بنيته اتقانًا ازداد قوةً وبيانًا. وكلما ضعف الدماغ كما اذا المّت به نائبة اي قلّ الدم المتوارد اليه او نُزع بعض جسمه او انحطّ من المرّم او اعتبى مسمومًا ضعف العقل وخبثت افعاله . ولذلك فلا ينكر غير المكابر انه يوجد بين الدماغ والعقل علاقة معيّنة ثابتة بحيث اذا زاد الاوّل زاد الثاني واذا نقص الاوّل نقص الثاني . وعليه فالماديون يقولون ان هذه العلاقة علاقة علّية والاول علّة الثاني فالعقل عندهم فعل الدماغ . وهم انما يقولون ذلك قياسًا على ما ماثله في المباحث الطبيعية . لانه اذا ثبت في بحث من المباحث الطبيعية انه يوجد علاقة معيّنة ثابتة بين متواليين قطعنا في الحكم بان احدهما علّة والآخر معلول له . مثال ذلك المغنطيس والحديد فانه كلما قُرّب المغنطيس من الحديد جذبه ولذلك نقول ان المغنطيس علّة جذب الحديد . وايضًا البَرْد وجمود الماء فانه كلما برد الماء بردًا كافيًا جمد ولذلك نقول ان البرد علّة جمود الماء وهكذا في سائر العلل والمعلولات الطبيعية . ولمّا كان هذا التوالي الثابت واقعًا بين الدماغ والعقل جعل الماديون الدماغ علة والعقل معلولاً له وجعلوا الفكر والحس والارادة من وظائف الدماغ كما ان وظيفة المعدة والامعاء هضم الاطعمة ووظيفة الرئتين تطهير الدم ووظيفة القلب مع الدم الى اطراف البدن وهلمّ جرًّا

وهم يدّعون ايضًا ان ناموس حفظ القوى واستحالتها يزيد مذهبهم قوةً وتاييدًا . اما ناموس حفظ القوى فهو من مكتشفات ابناء هذا الزمان على ما تعلمون والمراد منه ان القوة كالمادة لا تتلاشى وانما تتحوّل من حالٍ الى اخرى فيظهر لنا على صور شتّى تارةً حرارة وتارةً كهربائية وتارةً قوة اخرى من القوى الطبيعية . وان مقدارها في الكون واحد ابدًا فلا يزيد ولا ينقص مهما

اختلفت صورها وتعدّدت مظاهرها . ولما كان لهذا الناموس اعتبار عظيم في ما نحن فيهِ احببت ان ابسط الكلام عليهِ قليلاً لزيادة الايضاح : القوة كل ما يقتضي عملاً فقوة الرجل مثلاً تقدرهُ على الحركة ورفع الاثقال وما شاكل من الاعمال وقوة الماء والريح تدير الدواليب وقوة حرارة البخار تسير المراكب في البحر والمركبات على البر وقوة جذب الارض تحدر الاجسام الى سطحها وقوة الكهربائية تحرك راقم التلغراف فينقل الاخبار وليس على ما ذُكِر ما لم يذكر . وهذه القوى وان تعدّدت في الظاهر فهي في الحقيقة نوع واحد محدود المقدار في الكون لا يزاد عليهِ ولا ينقص منهُ . ولكن تتقاسمهُ الاجسام المادية فيكثر في بعضها ويقلّ في البعض الآخر وينتقل من بعضها الى بعض — اذا عرض لها ما يقتضي ذلك الانتقال — فيتحوّل من صورةٍ الى صورةٍ ولكن يبقى مقدارهُ كما كان . مثال ذلك : اذا رمينا حجرًا فذهب صُعُدًا في الجوّ وفرضنا الجوّ خاويًا فان قوتنا ترفع الحجر فيذهب بها ثم تقلّ منهُ شيئًا فشيئًا ولكن لا تتلاشى بل تتحوّل من قوة فاعلة فيهِ الحركة الى قوة مهيّئة للفعل بالوضع حتى يقف الحجر لحظة عن الحركة وذلك متى استحالت قوتنا فيهِ من قوة محركة بالفعل الى قوة مهيّئة للحركة بوضعها لهُ في ذلك الموضع فتأخذ هذه القوة المهيّئة للفعل في التحوّل الى قوة فاعلة فتسقطهُ من الموضع الذي وقف فيهِ حتى تحدرهُ بقدر ما رفعتهُ قوتنا وحينئذٍ تكون قد عادت فتحوّلت كلها الى قوة فاعلة للحركة . ومتى اصاب سطح الارض لا تتلاشى القوة الفاعلة منهُ بل تحرّك جواهر الارض التي تقع عليها فتظهر لنا على صورة الحرارة ولو امكن جمع هذه الحرارة واستعمالها لرفع الحجر لرفعتهُ في الجوّ حتى توصلهُ الى حيث اوصلناهُ بقوتنا اولاً وهلمّ جرًّا على الدوام . والخلاصة ان القوة الطبيعية محدودة المقدار في الكون متوزعة على الاجسام تتحوّل فيها من صورة الى صورة ويبقى المتحوّل منها مساويًا لنفسهِ ابدًا وهذا هو المراد من ناموس حفظ القوى واستحالتها

فالماديون يدّعون ان الافعال العقلية تحصل من استحالة القوى الطبيعية بموجب ناموس حفظ القوى واستحالتها فيذهبون مثلاً الى ان ابصارنا للمرئيات يتمّ على هذه الصورة : اذا وقع النور (وهو قوة طبيعية) على العين انكسرت شعاعهُ فيها حتى تجتمع على العصبة المفروشة في مؤخرها المعروفة بالشبكية فتؤثر فيها تاثيرًا كيماويًا كما تؤثر في دهان لوح الزجاج المعدّ للتصوير بالشمس فتنبه العصب البصري بذلك وتهيج القوة العصبية فيهِ . وهذه القوة تنبه العقد البصرية (الاجسام الرباعية) في الدماغ وتهيج قوتها العصبية . وهذه تهيج قوة الابصار فيبصر الناظر المرئي الذي وقع النور منهُ على عينهِ . فالنور عندهم علة اهاجة القوة العصبية والقوة العصبية علة اهاجة القوة المبصرة ومنزلة الثانية من الثالثة منزلة الاولى من الثانية فكما انهُ لا واسطة بين النور والقوة العصبية كذلك لا واسطة عندهم بين القوة العصبية والبصر . ومثل البصر سائر افعال النفس من حسٍّ وفكر وارادة

واقوى ادلّة الماديين هذان الاثنان — اي علاقة الدماغ بالعقل وناموس حفظ القوى واحتجاجها على ما قدّمت لكم. ولست اظنّ ان جمهور علمائهم يستند الى اقوى منهما ويناظر اهل العلم في غير ما ينطوبان عليهِ من القضايا

فقد انحصر البحث معنا في مجال ضيّق فتعالوا نفصّل دعاويهم ونتدقّق النظر في اقوالهم. فنحن لا ننكر انهُ اذا تبالى حادثان دائمًا عُدَّ احدهما علة والآخر معلولاً في المباحث الطبيعية ولكن قد يغتفر في المباحث الطبيعية ما لا يغتفر في المباحث الفلسفية اذ لا يقدح في العلوم الطبيعية كل ما يقدح في العلوم الفلسفية. فلو فرض انهُ وُجد علاقة معيّنة بين امرين فقد لا يقدح بعلم من العلوم الطبيعية ان يعدّهما علاقة علية اذا وافق ذلك غرضهُ. فلا يضر الطبيب مثلاً ان يقول في طبّهِ ان الدماغ علّة الافعال العقلية فداوِ دماغك تداوِ عقلك اذ لا بهمهُ النظر الى ماهية العلاقة التي بين الدماغ والعقل بل النظر الى وجود تلك العلاقة بينهما. واما الفلسفة فلما كان النظر في حقيقة تلك العلاقة بهما كالنظر في وجودها فلا يصحّ التساهل فيها كالتساهل في العلم الطبيعي ولا يُسلَّم فيها ان الدماغ علّة والعقل معلولهُ حتى يقام البرهان القاطع على ذلك وكيف يستطيع الماديون ذلك والبرهان عليهِ محال يقتضي مذهب كثيرين منهم في العلّة والمعلول. قال البعض في هذا المعنى "ان اقامة الدليل على انتاج المادّة للعقل محال اذ لا يمكن لنا ان نجرّد مادّة من المواد عن العقل فنحكم بانتاجها لهُ اذ العقل ملابس لكل مادة. فكل جسم ندركهُ انما ندركهُ بعد امتزاج جوهري المادّة والعقل فيهِ وكل ما في هذا العالم انما نعلم بهِ بعد ملابسة عقولنا لهُ ولا علم لنا بهِ دون ذلك. فلو فرض ان جواهر المادة الفردية موجودة فلا يمكن لك ان تنتج العقل منها قبل ان تتعقّل وجودها وصفاتها. ومتى تعقّلت ذلك اثبتَّ ان عقلك موجودًا وانهُ لم ينتج من تلك الجواهر. والخلاصة ان علمنا بوجود المادّة موقوف على حكم عقولنا فلولا العقل لم يكن لنا علم بها وادراكنا المادّة كادراكنا اللّون فاللون والمادّة في علمنا سيّان ولذلك لا نستطيع ان ندرك مادّة مجرّدة عن العقل بل لا بُدَّ من ملابسة العقل لكل مادّة تُدرَك. فمن يزعم انهُ يستطيع اقامة الدليل على ان المادّة علّة العقل فهو في ضلال مبين اذ غاية ما يتصل اليهِ ان العقل علة العقل". انتهى. فهذا قول بعض من يحتجّ الماديين بحجّتهم وهو قول يلزمهم التسليم بهِ لانهُ مبنيٌّ على مقدماتهم. ونحن اوردناهُ هنا لا تسليمًا بكل ما يلزم منهُ بل لثبوته عليهم وبيان ما تأول فلسفتهم اليهِ. وهو كافٍ لابطال دعواهم ونقض قول القائلين ان العلماء قد كادوا يثبتون كون العقل معلول الدماغ اي كون ذلك ميسورًا لهم

هذا اولاً. وثانيًا اننا ننكر دعوى الماديين بكون الدماغ علّة والعقل معلولها لانهُ لا يوجد

مشابهة بين ذلك وبين الامثلة الطبيعية التي يقيسونه عليها الّا في وجود العلاقة التي سبق ذكرها بين الدماغ والعقل . واما في ما سوى ذلك فلا مشابهة البتة . فان كل العلل والمعلولات يكون بينها علاقة ظاهرة وهي انه اذا كانت السوابق طبيعية مثلاً كانت التوالي طبيعية ايضاً بخلاف علاقة الدماغ والعقل فان سابقها طبيعي وتاليها عقلي ولا مشابهة بينهما على الاطلاق ولا يتصوّر العقل حصول احدهما عن الآخر . وذلك يوافق قول نبدل العلّامة الانكليزي في خطبة القاها على المجمع العلمي البريطاني منذ سنين فهرج العالم لها ومرج ولا تزال نيرانها تلعب في النفوس حتى يومنا هذا . قال ما معناهُ : "ان تحوّل افعال الدماغ الى وجدان وافعال عقلية امرٌ لا يُعقل فلو فرضنا ان اهتزاز جواهر الدماغ والفكر يحدثان معاً فلا ترى فيما تدرك كيف يصير اهتزاز جواهر الدماغ فكرًا او يصير الفكر اهتزازًا بل لو اتسعت فينا العقول وتقوّت واستنارت المشاعر واحتدّت حتى صرنا نرى جواهر الدماغ عيانًا ونشعر بها لمسًا ونتبعها في جميع حركاتها ونعيّن كل اجتماعاتها وتفرقاتها وتفرغاتها الكهربائية ان كان بينها تفرّغات ولو عرفنا كل فكر وحس يحدث عند ذلك فاننا لا ندنو خطوةً من حل هذه العقدة وادراك العلاقة التي بين افعال الدماغ الطبيعية وافعال العقل المعنوية لان بينهما هوّة لا تجتازها العقول" انتهى

وثالثًا اننا ننكر ان ناموس حفظ القوى واستحالتها يؤيّد دعوى الماديين وعدنا انه يبطلها . لانه اذا كان ناموس حفظ القوى يصدق على الدماغ والعقل فلا بدّ ان يكون العقل قوة كغيره من القوى الطبيعية اي انه ضرب من الحركة كما ان النور والحرارة والكهربائية وغيرها من القوى الطبيعية اضراب من الحركة ويشاركها في ما تشترك فيه جميعاً . وذلك بعيد عن التصديق ان لم يكن محالاً . لانه لو فُرض ان العلماء كشفوا وجوهًا عديدة من وجوه المشابهة بينه وبين سائر القوى الطبيعية كأن قاسوا الفكر كما يقيسون الحرارة وقاسوا الحب كما يقيسون الكهربائية وقاسوا الغضب كما يقيسون المغنطيسية على رفع الاثقال — لو فرض ان صحّ ذلك — فان الماديين لا يتخلصون من ورطة الّا ليرتطموا في اوخم منها . وذلك لانه ان كان العقل قوة طبيعية كسائر القوى الطبيعية كان ضربًا من الحركة على ما تقدّم . وان كان ضربًا من الحركة فلا بدّ ان يصدق عليه ما يصدق عليها وان يكون بينه وبينها ما بينها وبين سائر القوى من المشابهة . والصحيح انه لا يوجد بينه وبينها ادنى مشابهة حقيقية فان الحركة لا يتصوّرها العقل ان لم يتصوّر الامتداد معها فان لم تكن صورة الامتداد فيه حال تصوره لها فلا يقدر على تصوّرها اذ الحركة انتقال شيء ذي امتداد في حيّز ذي امتداد ايضاً فاذا انتفت صورة الامتداد من الذهن انتفت الحركة ايضاً فلا حركة بلا امتداد وهو ظاهرٌ . واما الفكر — واعني به فعل العقل — فيُعرَف بل يُميَّز عن غيره

بكونه ملا امتداد فهو عكس الحركة ولا يمكن ان يكون أبامها . ولو فُرض ان العلماء ظفروا بقياسه كما يقيسونها وتبيّن معهم أن مقدار كذا من الفكر يعدل مقدار كذا من الحركة ومقدار كذا من الحركة يعدل مقدار كذا من الفكر فلا يثبت منه ان الفكر استحال الى حركة او ان الحركة استحالت الى فكر وان الفكر والحركة سيّان بل يثبت منه ما ينقض هذا الحكم الاخير وهو ان الحركة لمّا استحالت الى فكر بطلت ان تكون حركة وتغيّر طبعها وبُدِّلت ذاتها وصورتها معًا لانها كانت شيئًا ملازمًا للامتداد لا يقوم الّا به ولا يوجد الّا في حيّز فلما صارت فكرًا صارت شيئًا لا يحتاج ادراكهُ الى تصوُّر الامتداد ولا الحيّز . وكذلك الفكر لما صار حركةً بطل ان يكون فكرًا بسبب تغيُّر ذاته وصورته معًا لما تقدَّم في الحركة . ولذلك اذا قاس العلماء الفكر بحركة تساويه والحركة بفكر يساويها لم يثبت منه قول الماديين بان الفكر حركة ولم يفِد كون الفكر يبطل الحركة . واذا اثبت الماديون ذلك — اعني ان الفكر يبطل الحركة — فقد ثبت عليهم اعظم الحجج وبطلت دعواهم بتبَنِّهم . لانهُ ان كان الفكر يبطل الحركة فبفنيها مدَّة فالفكر غير الحركة اذ المبطِل غير المُبطل فالعقل غير الدماغ . اذن لا يصدق ناموس استحالة القوى على استحالة القوى الطبيعية الى القوى العقلية ولو قاس العلماء القوى العقلية بالطبيعية والطبيعية بالعقلية . وهذا الناموس لا يؤيد دعوى الماديين كما زعموا بل ينقضهُ كما تبيَّن معنا

وممَّا يليق ذِكرهُ في هذا الصدد انهُ اذا كان الدماغ علَّة العقل وكانت القوة الطبيعية تستحيل الى قوة عقلية لزم ان يكون بينها مساواة كما يكون بين القوى الطبيعية اذا تحوَّل بعضها الى بعض . وعليهِ يجب ان تكون الاسباب مساوية لنتائجها والواقع لا يدلنا على ذلك فان الالوف يبذلون من القوة اضعاف اضعاف ما يبذلهُ غيرهم ولا ياتون بشيء يذكر بالنسبة الى ما ياتي بهِ غيرهم . فكم فتّى يجهد القريحة ويبذل من جوهر الدماغ ما يعدل ادمغةً من دماغ غيرهِ على نظم القريض مثلاً فياتي بعد ذلك بما يعاب عدهُ شعرًا وغيرهُ ينظم الاشعار الدقيقة المباني الرقيقة المعاني الفائقة للالباب الآخذة بمجامع القلوب على غير جهدٍ ولا تكلُّف مشقَّة ولا ضياع يُذكَر في الدماغ . فكيف تساوي القوة ونتيجتها في مثل هذا المثال وعلى اي قياس تحوَّل القوة الكثيرة في الاوَّل الى ما لا يُذكَر والقوة القليلة في الثاني الى ما يعدُّ في اعلى طبقات العظمة والسموّ . فان كان نظم الشعر من افعال الدماغ — وهو ما يدَّعيهِ الماديون — فالواجب ان يكون بحسب ما يبذل عليهِ من قوة الدماغ ولكنهُ كثيرًا ما يكون بعكس ذلك

وربما ردَّ الماديون على ما قلناهُ في هذا الصدد بان قياس القوة الطبيعية بهذه النتائج العقلية لا يصحُّ اذ قياسها الحقيقي الكمُّ وقياسها هنا الكيف . فان لم تساوِ القوة نتائجها فذلك لخلل في

قياسها لا افساد الحكم عليها بالمساواة . فنقول في جواب ذلك اننا لا نستطيع ان نقيس الفكر كمًّا الَّا بالنظر الى قيمة تاثيره في المعقولات على ما نعلم وتاثيرهُ في المعقولات يكون بحسب كيفيتهِ فقياسهُ كيفًا يعدُّ هنا بمثابة قياسهِ كمًّا . والَّا فكيف يقاس كهُ حتى يحكم بمساواتهِ للقوة التي تنتجهُ على ما يزعم الماديون . فاذا استطاعوا ان يقيسوا كيفية الفكر بغير كيفيتهِ وان يثبتوا مساواتها للقوة التي يولدها الدماغ عليهِ كان لهم من ذلك ثبت على دعواهم ولكن يبقى عليهم ان يدفعوا سائر ما اعترضنا بهِ عليهم والَّا فدعواهم لا تثبت

فيتضح لكم ايها السادة من اليسير الذي القيناهُ عليكم ان فلسفة الماديين لا ترضي العقل ولا يؤيدها العلم فلا تنطبق على حكم العلة والمعلول في مذهبهم ولا تصدق على ناموس حفظ القوى واستحالتها . وهذا ما أعتقدهُ مقتنيًا فيهِ آثار كثيرين من الذين فاقوا الاقران فهمًا وحازوا قصب السبق علمًا

الشريف وليم ضدج

نعت البنا الجرائد الاوربية والاميركية وفاة الكريم الفاضل الشريف وليم ارل ضدج في دارهِ بنيويورك وهو في الثامنة والسبعين من عمرهِ . ولمَّا كان لهذا الشهير اليد الاولى في انشاء المدرسة الكلية السورية والافضال العميمة على شبان المشرق الذين درسوا فيها وفي مدرسة روبرت الكلية بالقسطنطينية وعلى كثير من المدارس والاعمال الخيرية وكان من الذين اثروا بمجدهم واستخدموا ثروتهم وقوتهم لخير نوع الانسان من كل الامم والقبائل رأينا ان نورد هذه النبذة في ترجمتهِ مقتطفة من جرائد اميركا تذكرةً لمن يطَّلع عليها من الاغنياء والتجار وغيرهم

ولد وليم ارل ضدج بولاية كنتكت في الرابع من ايلول عام ١٨٠٥ وكان ابوهُ داود ضدج يعمل بالقطن فتعلم صناعتهُ حتى اكمل دروسهُ الابتدائية ثم انتقل ابوهُ الى مدينة نيويورك واخذ يتعاطى بيع الاقمشة فكان وليم يساعدهُ واشتهر بالدعة والمهارة . وفي الخامسة والعشرين من عمرهِ تزوَّج بابنة تاجر يتجر بالمعادن اسمهُ مستر فلبس ثم اشترك معهُ في التجارة فراجت تجارتهما اتمَّ رواج وصارت الاولى في البلاد كلها وذلك بدراية ضدج ونشاطهِ . وليث يتعاطاها حتى عام ١٨٨١ وفي خضون ذلك تعاطى اعمالاً كثيرة تقصر عنها هم الرجال وكان رئيسًا للتجار ومديرًا لشركات كثيرة وعضوًا في كثير من المجامع الخيرية وجمع ثروة وافرة بلغ ما تركهُ منها عند وفاتهِ ٥٠٠٠٠٠٠ ريال (الريال الاميركي يساوي خمسة فرنكات و١٧ سنتيمًا) ولولا سخاؤهُ العظيم لكان من الاولين بين اغنياء الارض لانهُ كثيرًا ما كان يتصدَّق كل يوم بالف ريال على مدارس